



الجزاء من جنس العمل

(093) سورة الضحى

محاضرة في الأردن

2023-05-08

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أصول القاعدة الشرعية (الجزاء من جنس العمل):

أيها الإخوة الكرام؛ هناك قاعدة نسمعها كثيراً، يقولون: (الجزاء من جنس العمل)، وهذه القاعدة في الحقيقة قاعدة شرعية ليست موجودة بهذا النص، لكن مستخلصة من عموم النصوص الشرعية (الجزاء من جنس العمل)، من هذه النصوص قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)

(سورة الرحمن)

فمن أحسن يُحسن إليه، و (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) هذه قاعدة في تعامل الله تعالى مع خلقه، فقد قضى أن المحسن يُجازى بالإحسان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْتُمْ فِيهَا فِيمَا أَتَيْتُمْ اللَّهَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ لَا تَبْغِ لِقَاسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا



مجازة المحسن بإحسانه

وهي أيضاً توجيه للناس أن يجازوا المحسن بإحسانه، الأب في بيته يجب أن يجازي الابن المحسن بإحسانه حتى يشجع الآخرين على الإحسان، والمدير في شركته إذا موظف متفان في العمل يأتي قبل بداية الدوام ويخرج بعد نهايته من أجل أن ينهي كل ما بيده من أعمال، يجب أن ينظر مدير الشركة إلى هذا الأمر بعين الإحسان ويحسب له حتى يكافئه، وحتى يشجع الآخرين على أن ينهجون نهجه، والمعلم في صفه، والزوج مع زوجته، والزوجة مع زوجها إلى أعلى المستويات؛ قاعدة عامة (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، وهذا الاستفهام استفهام تقريرى، الاستفهام في اللغة العربية إما أن يكون حقيقياً كأن أسأل إنساناً: هل جئت أمس إلى الجلسة؟ هذا استفهام حقيقى فيقول: نعم أو لا؛ أحتاج جواباً، هناك استفهام إنكاري كان أقول لطالب من الطلاب قد تعبت عليه كثيراً ثم جاء بعلامات متدنية، فأقول له: ما هذه النتيجة؟ لا أريد منه جواباً فالنتيجة أمامي وأنا أعرفها، لكن أريد أن أستنكر عليه هذه النتيجة بعد هذا الجهد مني، وهناك استفهام تقريرى كان أريد أن أقرر حقيقة فأتي بها على طريقة الاستفهام لأن الاستفهام إنشاء، والإنشاء يثبت في النفس أكثر من الحقيقة المباشرة فبدلاً من أن يقول الله تعالى: يجب أن يكون جزاء الإحسان إحساناً، قال: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، أي لا ينبغي أن يكون جزاء الإحسان إلا إحساناً، فمن يحسن ينبغي أن يحسن إليه، فهذا توجيه رباني لكل الناس أن يجازوا بالإحسان إحساناً، وهو -جل جلاله- وهو الغني عن عبادته ألزم نفسه -إن صح التعبير- والله لا يلزمه شيء ولا يسأل عما يفعل لكن إلزاماً ذاتياً، فأراد أن يلزم نفسه بالإحسان إلى من أحسن -جل جلاله- (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، وفي المقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

(سورة الشورى)

لكن دائماً في المجازة بالسئية يُفتح باب العفو (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ) لكن في الأصل كقاعدة (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)، حتى القصص هو من هذه القاعدة (الجزاء من جنس العمل).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ لَتَفْسَنَ بِلُغْسٍ وَاللَّعِينُ بِالْأَنْفِ وَالْأَنْفُ بِالْأُذُنِ وَالْأُذُنُ بِالْإِسْنِ وَالْإِسْنُ بِالْجُزُوعِ
فَصَاصُ قَمَنَ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

(سورة المائدة)

فما معنى القصص في الأصل؟ من قص الأثر أي تبعه، فنتبع أثر الجاني حتى نوقع به ما أوقعه بغيره، نتبع أثره، نقص أثره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتْ لِأُخِيهِ فَصِيهِ فَتَضَرَّتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ (11)

أي تتبعي أثره، والقصة سميت قصة لأننا نتبع آثار أشخاصها، كل واحد نريد أن نعرف أين وصل به الحال فنقص القصة؛ فلذلك سميت قصة، وتتبع العبر المستفادة منها فهي قصة..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَحْنُ تَقْمُ عَلَيْنِكَ أَحْسَنَ لَقَصَمِي بِمَا أَوْحَيْتَنَا إِلَيْكَ هَذَا لَقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)

(سورة يوسف)

ف (وَجَزُوا سَيِّئَهُمْ سَيِّئَةً مُمْلَأَةً فَغَمَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وأيضاً مما يؤكد هذه القاعدة أو مما استنبطت به القاعدة من نصوص الشرع العامة قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَرِزْقَهُمْ لَخُفُوفًا وَلَا يَبْرَهُونَ وَهُمْ قَتَرُوا وَلَا دَلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)

(سورة يونس)

فالجنة سميت حسناً، والله تعالى يجازي المحسن بالحسنى، و (وزيادة): هذا فيها أن الإحسان ينبغي أن يقابل بمزيد إحسان، والزيادة هنا كما قال كثير من المفسرين، وكما ورد في بعض الآثار هي: النظر إلى وجه الكريم -جل جلاله- فهذه هي زيادة في الجنة، ويقول- صلى الله عليه وسلم:-

{ إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ... }

(صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري)

من أعظم الأحاديث في قواعد الشرع العامة وقواعد الحياة العامة:



الخير ينبغي أن يُقابل بخير

هذا من أعظم الأحاديث في قواعد الشرع العامة وقواعد الحياة العامة: (الْخَيْرُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ)، فإذا وجدت مثلاً من زوجتك خيراً لا ينبغي أن يُقابل هذا الخير إلا بخير منك، مثلاً في شهر رمضان كانت النساء فارسات المطبخ؛ تحضير الطعام وقيل...، الأولاد والرجال رغم تعبهم أثناء النهار ربما الرجال، لكن قبل الغروب عند ساعات الغروب يرتاح، هي يجب أن تُعدَّ الطعام حتى اللحظة الأخيرة، هذا خير بذلته فينبغي أن يُقابل بخير، يبدأ بكلمة شكر أو بهدية على العيد أو بأي شيء يدخل الخير إلى قلبها ف (الْخَيْرُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ)، وأيضاً هذه القاعدة: (الخير لا يأتي إلا بخير)، وهذه القاعدة أيضاً لها مدلول آخر، (الْخَيْرُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ) هذا الحديث له مدلول آخر وهو: أن الإنسان بطبعه حركي ديناميكي، فالخير أو صاحب الخير يدفعه إلى مزيد من الخير، والشر يأتي بشر، لذلك هناك قاعدة مترجمة بقول: (الغضب لا يولد إلا الغضب) أي لو أن الأب في البيت يصرخ دائماً على زوجته يعنفها، يقسو عليها بالكلام، الآن الزوجة بحكم المجتمع والعادات والتقاليد لا ينبغي أن ترفع صوتها في وجه زوجها، طبعاً هذا أمر حسن ومطلوب، لكن هذا لا يعني أن يكون الزوج دائماً غضوباً يرفع صوته، فهي الآن تحتاج أن تفرغ العنف فتبدأ بتقريب الأطفال الأولاد الصغار، كلما أخطأوا تقابلهم بعنف شديد، الآن الطفل أيضاً يحكم بر الوالدين والعادات والمجتمع لا يستطيع أن يواجه أمه، فيخرج إلى الشارع فيعنف زميله في المدرسة، زميله أضعف منه فإذا وجد قطعة في الطريق يعنفها يضربها برجله، فالعنف لا يولد إلا العنف، فأيضاً الخير لا يأتي إلا بخير.

{ إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُتْرَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. }

(صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين)

فأيضاً إذا كان الإنسان نهج الخير فالخير يأتي بخير بعده، والخير بعده يأتي بخير آخر وهكذا، فالخير يأتي بالخير، والشّر يأتي بالشّر، وهذا أيضاً من قاعدة (الجزاء من جنس العمل)، ويقول صلى الله عليه وسلم:

{ ضنائجُ المعروفِ تقي مصارعَ الشُّوءِ، والصَّدَقَةُ خَفِيئاً تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّجْمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ

المعروفِ في الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المعروفِ في الآخِرَةِ، وَأَهْلُ المُنْكَرِ في الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المُنْكَرِ في الآخِرَةِ. }

(أخرجه الطبراني عن أم سلمة أم المؤمنين)



الجزاء يوم القيامة يكون وفقاً للعمل

بمعنى أن الجزاء من جنس العمل فمن كان في الدنيا من أهل المعروف كان في الآخرة من أهل الخير والمعروف، ومن كان في الدنيا من أهل المنكر فهو في الآخرة من أهل المنكر، طبعاً في الدنيا كانت التكليف والاختيار فيمكن أن يكون من أهل المعروف أو من أهل المنكر لكن في الآخرة سيجازى اضطراراً؛ أي ليس له الخيار، الطالب له أن يدرس أو ألا يدرس لكن إذا صدر القرار برسوبه ليس له أن يقبله أو يرفضه، صدر القرار انتهى؛ جزاء من جنس العمل، وقال تعالى في سورة النبا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جَزَاءً وَاقِافًا (26)

(سورة النبا)

أي الجزاء يوم القيامة سيكون وفقاً للعمل، فمن جاء بخير جُوزي بالخير، ومن جاء بشر جُوزي بشر وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

(سورة الزلزلة)

تطبيقات القاعدة الشرعية (الجزء من جنس العمل) في السنة:

فالجزء من جنس العمل، هذه كلها تؤصل أو هي الأصول لهذه القاعدة التي استنبطها العلماء ونسج بها كثيراً (الجزء من جنس العمل) أما التطبيقات فهي كثيرة جداً في السنة، وهي مدار بحثنا، الآن تطبيقات في السنة كثيرة جداً.

تطبيقات القاعدة الشرعية (الجزء من جنس العمل) في السنة: (تطبيقات الشر):

نبدأ بالتطبيقات الشر حتى نختم بالخير، الشر؛ يقول صلى الله عليه وسلم:

{ يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ

عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ }

(في صحيح الجامع عن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب)

الجزء من جنس العمل، إذا شخص جعل ديدنه أن يتتبع عورات الناس سواء عوراتهم الخلفية أو الخلفية أو النساء أو أي عورة، العورة: هي ما يسوء الإنسان، لا يريد أن يذكره فيسمى عورة؛ ولذلك سميت العورة عورة لأنه يسوء الإنسان أن تظهر عورته سواء السواتان، أو العورة الشرعية وهي من السرة إلى الركبة، فيسوءه أن تظهر عورته، وسميت العورة عورة وسميت سوءة أيضاً، والسواتان هم القبل والدبر -اجلکم الله- فالإنسان يسوءه أن ينظر الناس إلى عورته هذه العورة المادية، والله تعالى ضرب مثلاً في بداية الخليقة لآدم وحواء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَدَلَّهْمَا يَعْزُرُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِيفًا خِصْفَانٍ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ لُجْنَةٍ وَتَادَتْهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)

(سورة الأعراف)



الإنسان في الأصل مجبور على السترة

لأن الإنسان في الأصل مجبور على السترة، والتعري هو منهج الشيطان، فالشيطان هو الذي أراد أن يبدي لهما عوراتهما و سواتهما، لكن لما أراد الله -عز وجل- أن يسكنهما الجنة حجب عنهما رؤية السوءات والعورات، فلما ذاقا من الشجرة انتقالاً من طهر السماء إلى وحل الأرض فظهرت العورات، والعورات المعنوية أكثر من المادية، الإنسان يسوءه أن يرى الناس عورته وهذا خلق إسلامي عظيم -العورة المادية-، لكن أيضاً يسوءه أن يرى الناس عورته المعنوية في بيته، له أسلوب في التعامل في بيته فلا يحب أحدًا أن يتجسس عليه، زوجته، بناته هؤلاء من عورة الإنسان مما يسوءه أن ينظر الناس إليهم، وقع في معصية مغلوياً على أمره، لا يحب أن ينظر الناس إليه، فتتبع عورته حتى ينظر إليه، اليوم يوجد وسائل جديدة لتتبع العورات عبر وسائل التواصل، عبر كسر كلمة السر فبدل إلى حسابه وينظر إلى الصور التي وضعها، أو يأخذ جواله وقد خرج فينظر في الصور التي عنده؛ صور أهله أحياناً، أحياناً صورته هو لكن صورته بجلسات، بشيء لا يحب أن يظهره للناس جعله في هاتفه الخاص، فهذا أيضاً من تتبع العورة، فالجزء من جنس العمل، فإذا إنسان جعل ديدنه أن يتتبع عورات الناس فإن الله تعالى يتتبع عورته ويفضحها، الله تعالى في الأصل ستير-جل- جلاله- من أسمائه الستير فهو يستتر، لكن إذا إنسان انتهج نهج تتبع العورات فإن الله -عز وجل- لا يستتره بل يفضح هذا الجزء من جنس العمل، وقال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ }

(أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد واللفظ لهم، والترمذي باختلاف يسير عن أبي صرمة مالك بن قيس المازني)

أي من ألحق الضرر بمسلم ألحق الله الضرر به، صور الإضرار بالناس اليوم كثيرة جداً، الإضرار في التجارة، في الغش، في التعاملات في أي شيء، من مكر بمسلم مكر الله به. أحياناً الكرام؛ هذه النصوص تُخيف حقيقة، مصدر الخوف فيها كأن الله تعالى يقول لك: إذا أردت أن تمكر بعبادي، أو أن تصدّ بهم، أو أن تسترهم وهؤلاء خلقي وأنا أحبهم وهم عبادي، فإذا أردت أن تتجرأ عليهم فاعلم أنني خصمك، النصوص مخيفة خصمك الله إذا أردت الإضرار بالناس، أعظم من هذا لا يوجد، يحضرني هنا لما السيدة عائشة والسيدة أم سلمة حصل شيء؛ تظاهرا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كما في في الصحيح فنزل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَوَبَّأ إِلَى اللَّهِ فَعَدَّ صَعْبًا فَلُوْبُكُمْمَا وَإِنْ تَطَهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَضلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ لَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (4)

(سورة التحريم)

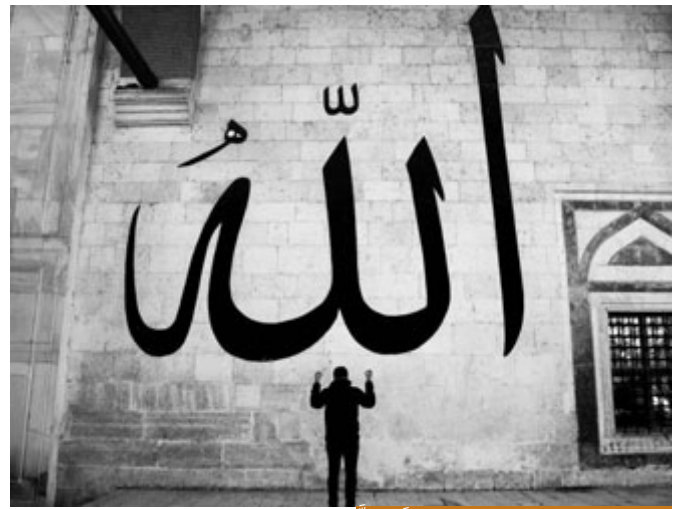
يعني صعبت قلوبكما للحق واستجبتم قال: (وَإِنْ تَطَهَّرَا عَلَيْهِ) أي تحيكون مؤامرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم-؛ هي مؤامرة بينة بسيطة بين زوجتين ليس أكثر، قال: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَضلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) أي اليوم بالعرف الحديث إذا كان هناك جندي غر أو جنديان غران؛ خدمة إلزامية بالجيش تمردوا ولم يداوموا، يستنفر قيادة الجيش ويستنفر معه القوات الأمن العام والمخابرات ووزارة الدفاع؟! جنديان عقوبة؛ لا، معنى الآية: إذا أردت أن تأخذ موقفاً معادياً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- فاعلم من هو خصمك، انتبه المعركة أنت نخوضها مع (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَضلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) فوات سند ودعم، ظهير تظاهر، فعندما نقرأ هذه النصوص (مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَحِبِّهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ) (مَنْ صَارَ أَعْرَضَ اللَّهُ بِهِ) (وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ) أي يصعبها على الناس، هو موظف مهم وجاءه رجل معه معاملة، والمعاملة هو يستطيع القيام بها يتوقع: اذهب وأحضر كذا، حسناً، (اذهب وأحضر كذا) كلفته ساعة ومواصلات وأنت تعلم أن هذه الورقة ممكن بدونها، القانون يسمح لك، لكن شاق عليه، قال: (وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ) .

{ ما من امرئٍ مسلمٍ يَحْدُلُ امرأً مسلماً في موضعٍ نْتَهَكُ فيه حُرْمَتَهُ، وَنُتَقِمُ فيه من عَرَضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ في موطنٍ

يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ، وما من امرئٍ مسلمٍ يَنْصُرُ مسلماً في موضعٍ يُنْتَقَضُ فيه من عَرَضِهِ، وَنُتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ في موطنٍ يُحِبُّ

فيه نُصْرَتَهُ. }

(أخرجه أبو داود بسند ضعيف عن أبي طلحة وجابر بن عبد الله)



يوم القيامة كلنا إلى نصره الله عز وجل

لك أخ في الإيمان ووجدته في موقف يحتاج نصرتك، قال لك: قف معي، تعرف أنت أنني صاحب حق، وهذا الشريك هو الذي أخذ المال، قف معي، اشهد معي، قلت له: أنا لا أريد أن أتدخل، أنا لا أريد أدخل لا أزعلك ولا أزعلك، وأنت هنا تعرف أن الحق معك 100% وهو مظلوم، ليست قضية ضائعة بين شخصين، لا أنت تعلم أنه ظلم لكن ما أحببت أن تتدخل، أنا لا أريد وجع الرأس، قال: (خَذَلَهُ اللَّهُ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ)، يوم القيامة كلنا بحاجة -وفي الدنيا وفي الآخرة- إلى نصره الله -عز وجل-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11)

(سورة القمر)

فيخذه الله إذا خذل مؤمناً في موطن، أحياناً النصره أحياناً الكرام يكون بكلمة، لا يحتاج منك غير كلمة، تكون أنت غير قادر على تقديم شيء له، لكنك قادر على كلمة تنصره فيها، فيسكت عنها إرضاء لقوي أو إرضاء لغني فهذا يخذله الله في موطن يحب نصرته فيه، قال:

{ مَنْ يُسْمَعُ يُسْمِعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ. }

(صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله)

(مَنْ يُسْمَعُ يُسْمِعِ اللَّهُ بِهِ) لها معنيان؛ المعنى الأول: هو إرادة السمعة، إرادة الشهرة والسمعة؛ أن يقال: فلان منفق، فلان قارئ للقرآن، فلان مجاهد، فلان جريء، فيسمع أي يتغني بعمله السمعة، ومثلها ومن يراني لكن قالوا: السمعة مرتبطة بحاسة السمع والمראה والرياء مرتبطة بحاسة النظر لكن المال واحد، أي شخص يريد سمعةً، وشخص يراني يريد أن يراه الناس، فالمال واحد وهو ضعف الإخلاص أو عدم الإخلاص لوجه الله تعالى، فإذا كان يريد السمعة سمع الله به، أنت تريد أن تصل للناس بوصولك الله إلى الناس، الجزاء من جنس العمل، يقول تعالى: إذهبوا إلى من كنتم تراءون فاطلبوا أجوركم، أي هو: لماذا عملت؟ حتى يسمع الناس بي، وسمعنا الناس بك وصار الناس يقولون: فلان منفق كبير وانتهى، (وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ) أنت أردت بهذا العمل أن يراك الناس، وأنا قد سمحت للناس أن يروك و رأوك واعتزوا بك وتكلموا عنك، وهناك معنى آخر لـ (مَنْ يُسْمَعُ يُسْمِعِ اللَّهُ بِهِ) يسمع بمعنى الفضيحة أي يتتبع عورات الناس؛ يسمع الناس بعورات الناس، أي يجاهر (فضائح)، يسمع (فضائح)، يرى شيئاً يسمع الناس كلهم به، فسمع الله به: فضحه الله في عقر داره، فـ (مَنْ يُسْمَعُ يُسْمِعِ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ) هذا في أمور الشر.

تطبيقات القاعدة الشرعية (الجزاء من جنس العمل) في السنة: (تطبيقات الخير):

وأما في أمور الخير فقال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ تَقَسَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُفْرَةً مِنْ كُفْرِ الدُّنْيَا، تَقَسَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُفْرَةً مِنْ كُفْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَبَسَّسَ عَلَى مُعْسِرٍ، تَبَسَّسَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَبِيهِ }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

وجدته في موقف محرج ما تكلمت لأحد أبداً سترت عليه، جاءك طالباً حاجة لئيتها أو لم تلثها سترت، ما قلت: فلان افتقر، فلان عنده مشكلة أبداً، سمعت شيئاً عن أهل بيته سترت (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).



المُعْسِرُ عَلَى الْمُعْسِرِ يَسِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ

(وَمَنْ تَبَسَّسَ عَلَى مُعْسِرٍ، تَبَسَّسَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) تاجر ولك معه مال، وجاء قال لك -هو ملتزم وليس ممالاً لكن وقع بمأزق- قال لك: أنظرني شهراً، شهرين، يسرت على معسر الله يسر عليك في الدنيا وفي الآخرة (مَنْ تَقَسَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُفْرَةً مِنْ كُفْرِ الدُّنْيَا، تَقَسَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُفْرَةً مِنْ كُفْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هنا الذي ينقَس هو الله، والكربة ليست من كرب الدنيا؛ من كرب يوم القيامة، وما أعظم الكرب بيوم القيامة! انتظر الحساب كربة من كرب يوم القيامة، تدنو الشمس من رؤوس الخلائق كربة، العرق يغط الناس كربة من كرب يوم القيامة، مجاوزة الصراط كربة، الفنطرة كربة، كرب يوم القيامة، فينفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

{ مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا بِيَعْتَهُ؛ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. }

(أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وعبد الله بن أحمد باختلاف يسير عن أبي هريرة)

أقال نادماً: بيع، إجارة، أو أي شيء، حتى بالكلام ندم، قال لك: أنا حكيت هذه الكلمة نادم عليها، لا تحكيها لأحد، انتهى انبساطها؛ أقالها، استأجر بيتاً دخل عليه مازال أول يوم؛ أنا هنا في هذا البلد حصلت معي الحالتان، والله الحالتان حتى ترى معادن الناس، الرجل الأول خدمة لشخص قادم من بلده والأوضاع كانت صعبة وحرب، استأجرت له بيتاً والدفع ستة شهور، وتم تسليم الدفعة ثم الرجل ما استطاع أن يأتي، فذهبت للرجل وقلت له: والله الرجل لم يستطع أن يأتي، ما تحبه نحن جاهزون، قال: ماذا أحب؟! أحب أن أرجع لك المبلغ الذي أخذته منك، الرجل ما سكن في البيت، ثم أيضاً قريبة من القريبات أيضاً استأجرت لها بيتاً، الحالتان حصلتا ودفعنا ستة أشهر وما سكنت يوماً، وبعد ساعتين رجعنا له أنهم لن يستطيعوا أن يسكنوا في البيت، قال: أنا انتهيت، يسكنون أو لا يسكنون، ثم مررت بالبيت بعد أشهر وجدت البيت مضاء، يبدو أنه أجرة مرة ثانية، لم يكتفي أجرة، فالناس معادن، فالقصد أن الإجارة فيها إقالة، وبالبيع فيه إقالة، الذي اشترى البيع عقد لازم ما دام استلم المبيع انتهى، ولو لم يقله الإنسان لا أقول إنه أتم؛ لأنه يقول لك: أخي البيع وشراء وما فيه عيب ولا يوجد شرط، لكن أقاله أقال عثرته أي أعفاه من هذه العثرة، قال له: أنا هذه البيعة تعثرت فيها غير قادر على السداد، أو وجدت البضاعة غير مناسبة، أعفاه من الالتزام، هو ملزم، ولو لم يقله والبيع لازم، هنا لا أقول أنه أتم، لكن إذا أراد الفضل (مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا بِيَعْتَهُ؛ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) العثرات يوم القيامة كثيرة.

مداخلة:

هنا إذا أجره ولم يرجع الإيجار.

الدكتور بلال نور الدين:

هذا أتم. طبعاً إذا أجزت هذا البيت له في هذه الفترة فإذا ما أقلت عثرته قل له: البيت لك وهي المفتاح معك، وأنا لن أؤجره حتى تنتهي مدة الإيجار، (مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا بِيَعْتَهُ؛ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أنفق ينفق الله عليك، نحكي عن الجزاء من جنس العمل، أنفق ينفق الله عليك، إذا الإنسان أبوه أنفق عليه.

{ مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاصَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ. }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

الجزاء من جنس العمل، هو خفض من نفسه هو ليس وضيعاً، التواضع لا يعني أن الإنسان وضيع، هو تصعّب الوضاعة، طبعاً ليست الوضاعة بالمعنى الاصطلاحي، لا، يعني وضع من نفسه، وضع هو مكانته هنا، لكن هو يضع من نفسه دائماً يرفعه الله، هو ينزل والله يرفع.

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحْمُ شُجْنَةٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ }

ومن قطعها قطعته الله {

(أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد عن عبدا لله بن عمرو)

{ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ، عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ }

(المحدث: الألباني، إسناده صحيح)

إنك لن تدع شيئاً لله إلا عوضك الله ما هو خير لك منه في دينك ودينك وأخراك، في هذا الأعرابي الذي جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأسلم معه فأعطوه بعض الغنائم، فقال:

{ مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ إِلَىٰ هَهْنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ خَلْفِهِمْ، فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: إِنْ تَصَدَّقَ }

اللَّهُ يَصَدِّقُكَ، فليُثْبِتُوا قليلاً ثُمَّ تَهَضُّوا في قتالِ العدوِّ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ يَحْمِلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشار، فقال النَّبِيُّ: أَهْوَهُو؟ قالوا: نَعَمْ، قال: صدق
اللَّهُ فَصَدَّقَهُ {

(أخرجه النسائي والطبراني باختلاف يسير عن شداد بن الهاد)



اصدق الله بصدقك

أنا جئت للجهاد ما جئت للمال، فقامت المعركة فذهب فجيء به إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال لهم: (أهْوَهُو؟) هذا هو الرجل الذي قال، (قالوا: نَعَمْ، قال: صدق
اللَّهُ فَصَدَّقَهُ)، هو كانت نيته صادقة جداً في الحق، يريد فعلاً الشهادة في سبيل الله، فجزاه الله من جنس العمل أعطاه الشهادة، وهذا ليس خاصاً بإنسان، في كل شيء اصدق
الله بصدقك، أي أنت كن مع الله صادقاً في نيتك، تريد الاستيقاظ لصلاة الفجر اصدق الله بصدقك وبوقظك، تريد أن تقوم الليل اصدق الله فقط، كن صادقاً في نية القيام، ربنا -عزَّ
وجلَّ- يصدقك، تريد أن تصل إلى الفقير اصدق الله بصدقك، يوصلك إلى الفقراء ويدفع مالك حيث تريد، فالصدق مع الله تنتجته صدق الله معك، وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ ذُكِّرْتُمْ أَذْكَرْتُمْ وَشَكَرْتُمْ لِي وَلَا تَكْفُرُونَ (152)

(سورة البقرة)

الجزاء من جنس العمل، ذكرك الله تعالى: سبحان الله، الحمد لله، الصلاة، قراءة القرآن، التفكير في خلق السماوات والأرض، فإذا ذكرك الله تعالى وهبك السكينة والأمن
والطمأنينة والتوفيق والحفظ والهداية والجنة، بذكرك وفي المقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)

(سورة الحشر)

ويقول تعالى كما في الحديث القدسي:

{ يقولُ اللَّهُ تعالى: أنا عِنْدَ طَرَفِ عَنَدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي في نَفْسِيهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي في مَلَأِ ذَكَرْتُهُ في
مَلَأِ حَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي بِمَنْشِي أُتَيْتُهُ هَرْمَلَةً. {
(أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير عن أبي هريرة)

هو ربنا -عز وجل- منزه عن الجسم، وعن الأبعاد، وعن كل شيء -جل جلاله- لكن انظر إلى هذا التعبير العجيب (وَإِنْ دَكَرْتَنِي فِي تَعْصِيهِ دَكَرْتُهُ فِي تَعْصِي) أنت إذا كان شخص مهم جداً وقال لك: جئت على خاطري البارحة، ما تنام الليل من الفرح: يتذكرني، بالله، وإذا كان المؤمنون ورجل صالح مثلاً شيخ من الشيوخ قال لهم: والله البارحة تذكركم بعد الصلاة ودعيت لكم، قلت: الحمد لله الذي جعلني في قلوب الصالحين، والله نعمة كبيرة إنك تتذكرني؛ هذا مخلوق، قال: (دَكَرْتُهُ فِي تَعْصِي).

قال: (وَإِنْ دَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ دَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرِ مِنْهُمْ) يعني نحن قاعدون بالمجلس وأنت قلت: يا جماعة اذكروا الله تعالى، أحضرت آية من آيات الله في عظمة الله -عز وجل- تحدثت عن الله مع أولادك، الملاء الذين حولك، الله يذكرك مع ملائكته: فلان ذكرني.

{ الْمُسْلِمُ أَحْوُّ الْمُسْلِمِ لَا يَطْلُمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَحْيِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ

كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَّرَ مُسْلِمًا سَتَّرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. }

(أخرجه أبو داود واللفظ له، والبخاري، ومسلم باختلاف يسير عن عبد الله بن عمر)

(وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَحْيِيهِ)، وختاماً:

الخاتمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ نَشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

(سورة المجادلة)

فحتى التفسح هذا أخف شيء، كنت في مجلس، في المسجد، في مكان وضاق المكان: يا جماعة افسح لأخيك، ففسحت فالفه يفسح لك عنده في الجنان، (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) الأرض الناشز هي المرتفعة عن الأرض، ومنه المرأة الناشز التي تترفع عن طاعة زوجها، (وَإِذَا قِيلَ نَشُرُوا) أي قوموا من مكانكم إما للخروج أو لمكان آخر (فَانشُرُوا)، الناشز هو الارتفاع، أرض ناشز مرتفعة، امرأة ناشز:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِرِّجَالٍ كُفَرُوا وَعَلَىٰ نِسَاءٍ يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَلْصَقَتْ فَيْثُ خُفِطَتْ لِلْغَيْبِ يَمَّا حَفِطَ اللَّهُ
وَالَّذِينَ تَخَافُونَ سُورَهُنَّ فَطُورَهُنَّ وَهُجْرَهُنَّ فِي لَمَضَاجِعٍ وَبُيُوتٍ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا
(34)

(سورة النساء)



الرجل في البيت هو ريان السفينة

فإذا نشزت المرأة بمعنى أنها ترفعت عن طاعة زوجها؛ خرجت عن السيطرة، أي "أنا ليس لك علي طاعة، أنا مثلي منك" واليوم هناك النسويات دائماً كأنهم لم يسمعوا بهذه الآيات، المرأة مطلوب منها أن تكون ضمن مؤسسة فيها قائد، وينبغي أن تكون مطيعة له في معروف، فيما تعارف عليه الناس، وهو ينبغي ألا يأمر إلا بمرء معروف، مثل تماماً الطائفة، الطائفة لها ريان هو قائد الطائفة ولها مساعد، المساعد تحت درجة لكن يطلب منه القيام بالمهمة عند وجود أي مشكلة عند القائد، فالرجل في البيت هو ريان السفينة أو الطائفة، وللمرأة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا مَطَّلَقْتُ بَتْرَبَضَنْ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ فُرُوعٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُغَوْلُهُنَّ
أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)

(سورة البقرة)

وليس عشر درجات، درجة هي درجة القيادة لأنه لا بد في كل بيت من قائد، وهي في حال لسبب أو لآخر ترك البيت أو سافر أو توفي فهي جاهزة للقيادة، فهي الدرجة رقم اثنان لكن لا بد من قائد في البيت وإلا لا تسير مركبة، لا يوجد مؤسسة في العالم فيها مديران، يوجد مدير ويوجد مساعد فقط، لكن يوجد مدير آخر شيء، فاليوم من عجائب الأمور ولأنه دخلنا على النشوز فتذكرنا هذا الأمر، من عجائب الأمور أن يطلب من المرأة أن تطيع مديرها في العمل حتى لا يفصلها من العمل، ويطلب منها أحيانا أن تتزين أكثر وأكثر حتى يهتم بها مدير العمل، ويطلب منها أن تتعطر، ويطلب منها أن تعامل الزبائن بأحسن معاملة، وأن تتحمل كل ظروف العمل الشاقة ثم يطلب منها ألا تقوم في بيتها بما أوجبه الله عليها وألا تطيع زوجها وأن تتمرد؛ لأنه هنا لا يوجد فصل من العمل أما هناك يوجد فصل من العمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مداخلة:

بارك الله فيكم.

الدكتور بلال نور الدين:

وبكم يا سيدي.

نور الدين الاسلامي